الحلقة (٥)

في الدرس الماضي كان كلامنا عن حكم تعلم علم المنطق، وفي هذا الدرس سوف نتناول الكلام عن نشأة علم المنطق، وكيفية انتقاله للمسلمين.

يقول: ابن حزم رحمه الله "إن هذا العلم أي المنطق مستقر في نفس كل ذي لب، فالذهن الذكي واصل بما أمكنه الله سبحانه وتعالى من سعة الفهم إلى فوائد هذا العلم" وابن حزم هنا يشير إلى أن قواعد هذا العلم بَدَهية مستقرة في العقول، والحق أن هذا الكلام فيه نوع مبالغة وفيه تعميم، إذ ليست كل قواعد هذا العلم بَدَهية، ولو كان الأمر كذلك لما احتيج إلى تعلمه وتعليمه أصلا، بل إن منها ما هو نظري، ومنها ما هو بدهي، بل يمكن أن يقال إن منها ما هو صحيح ومنها ما هو ظاهر البطلان والفساد، وعلى ذلك **فالكلام عن بدهية علم المنطق فيها نوع تعميم لا يمكن قبوله**، وإنما ذكرت هذا لأن علم المنطق إذا قلنا ببدهيته في العقول يكون نشأة هذا العلم مع نشأة وجود الإنسان، لأن هذا الإنسان منذ أن خلقه الله جل وعلا وهو بعقله، وما دام أن معه عقله إذاً يكون معه المنطق، هذا على القول بالبدهية وكما قلنا أن فيها نوع من التعميم، إذ أن قواعد علم المنطق منها ما هو كذلك ومنها ما ليس كذلك، بل إن فيها ما هو باطل كما سبق وأن ذكرنا.

أما عن تاريخ نشأة علم المنطق فإن بدايته تعود **إلى القرن الخامس قبل الميلاد**، وذلك إن أهل أثينا من اليونان كانوا يهتمون بالجدل والمناظرة والمناقشة كثيرا، وقد نزح إليهم جماعة من السفسطائيين، وهؤلاء القوم السفسطائية كانوا يبنون جدالهم ومناقشاتهم على فكرة إنكار الحق، حيث يرون استحالة وجود مقياس للحق، ويزعمون أن الحقيقة أمر وهمي بدليل اختلاف الناس فيها، كما لم يكن لديهم مقياس واضح للخير والشر، وهؤلاء بطبيعة الحال سيكون لهم أثر سيء في ذلك المجتمع، وعلى تلك البلاد، وكردة فعل لوجود مثل هؤلاء وشيوع نهجهم في المناظرات، وإنكار الحقائق وإنكار الحق ومعايير الخير والشر؛ ظهر من ينكر مثل هذا النمط من التفكير، ويؤصل لمنهجية إمكانية الوصول إلى حقيقة الخير والشر، وإمكانية وضع مقياس للحق، ومن أولئك الفيلسوف (سقراط) فقد اهتم سقراط وتلاميذه بمعرفة الطريق الموصل إلى حقيقة الخير والشر، وأخذوا يناقشون هذا الأمر على الملأ، في مجالسهم وفي أماكنهم وفي تجمعاتهم مع التلاميذ ومع المخالفين، وهكذا شاع مثل هذا الأمر، كان من تلاميذ سقراط (أفلاطون)، أفلاطون بعد سقراط سار على هذا المنوال، وأخذ أيضا يحرر قضية وضع معايير للحق والباطل والشر والخير، وفق رؤاهم ووفق رؤى ما أنتجته عقولهم، وكما تعلمون أن قضية وضع معايير للحق والباطل والخير والشر إذا كانت محض عقول فإنها قد تهتدي لبعضه وقد تضل عن بعضها الآخر.

جاء بعد أفلاطون تلميذه أرسطو أو أرسطاطاليس المتوفى ٣٢٢ قبل الميلاد، فوضع الشروط والقواعد الضرورية للتفكير، ووضع اللبِنات الأساسية لعلم المنطق الصوري، وقد سمي هذا بالمنطق الصوري لعنايته بصورة الفكر دون مادته ومعناه، ولذلك سمي أرسطو بالمعلم الأول، فإذا ذكر المعلم الأول فهو (أرسطو) لاهتمامه بهذا النمط في التفكير ولاعتنائه بوضع القواعد الضرورية في التفكير، تطور هذا العلم تدريجيا كغيره من العلوم، ولم يكن العرب والمسلمون يهتمون بهذا العلم لأنه ليس من علومهم، ويقال أن خالد بن يزيد أحد أمراء بني أمية هو أول من شجع الفلاسفة اليونانيين في مصر على ترجمة بعض الكتب اليونانية إلى العربية، ولعلها كانت أول الترجمات العلمية في الإسلام، لكن بطبيعة الحال كانت بدايات وكانت على نطاق ضيق وفي مكان وحيد **وهو مصر**.

نشاط حركة الترجمة كان بشكل أكبر في عصر الدولة العباسية ولاسيما في عهد أبي جعفر المنصور المنوفي ١٥٨هـ، وهارون الرشيد المتوفى ١٩٣هـ، وكما تعلمون أن هارون الرشيد قد أسس بيت الحكمة لهذا الغرض، لغرض الترجمة ولغرض الاتصال الثقافي مع الثقافات الأخرى، فكان **بيت الحكمة** أيضا من الأماكن التي تُرجمت فيه كثير من كتب الفلاسفة، وكانت **قمة ازدهار** حركة الترجمة لعلم المنطق والفلسفة في **عهد المأمون** المتوفى ٢١٨هـ، وكان من ضمن الكتب المترجمة في عهده كتب أرسطو مثل كتاب الآلة الذي وضعه أرسطو وعنونه بعنوان الأورجانون أو الأورغانون، وكذلك كتابه العبارة والتحليلات والمقولات الأولى، وغيرها، كل هذه ترجمت في هذا الوقت في عهد المأمون.

ممن اشتهر بالترجمة والتأليف في علم المنطق (عبد الله بن المقفع) وقد ترجم كثير من كتب أرسطو، كما ترجم كتاب المدخل المعروف بساغوجي، والذي ينسب خطأ لأرسطو، وهو في الحقيقة لتلميذه غورفوريوس الصوري، وهكذا بدأت الفلسفة والمنطق تدخل في علوم المسلمين، وكما يُعلم أن الكندي الفيلسوف المسلم المعروف واسمه يعقوب بن إسحاق قد ارتبط اسمه كثيرا بالفلسفة إلا أنه لم يتعاطى المنطق على نطاق واضح كما تعاطى **أبو نصر الفارابي** المتوفى ٣٣٩هـ، فكان هو حقا **أول الفلاسفة الذين تأثروا بالمنطق** الأرسطي، وقدم شروحات عديدة على كتب أرسطو، وكان من أبرز كتب الفارابي كتاب إحصاء العلوم، وقد اعتنى بالمنطق غاية الاعتناء حتى أصبح يعرف بالمعلم الثاني، إذاً أصبح الفارابي الفيلسوف المسلم هو المعلم الثاني لاهتمامه بالمنطق الأرسطي.

تدرج هذا العلم حتى كان زمن أبي علي بن سيناء المتوفى ٤٢٨هـوكان من أكثر الفلاسفة المتكلمين تأثرا بأطروحات الفارابي بالمنطق، وصنف عدة مصنفات في ذلك منها موسوعة الشفاء وكتاب الإشارات والتنبيهات وكتاب منطق المشرقين وغيرها من كتبه، وتابع ابن سيناء في التأثر بالمنطق الأرسطي فلاسفة مدرسة بغداد المنطقية، مثل أبو سليمان المنطقي والسجستاني وغيرهما، وامتد هذا التأثير حتى وصل إلى بلاد المغرب العربي فوصل هذا المنطق إلى مجموعة من علماء المسلمين أمثال ابن رشد الحفيد المتوفى سنة ٥٩٥هـوغيرهم من الفلاسفة المسلمين.

إذاً هذا التدرج في انتقال المنطق من علم يوناني قام عليه اليونانيون إلى أن انتقل بواسطة الترجمة إلى المسلمين وأصبح منهم فلاسفة أيضا يحاكون فلاسفة اليونان في هذا العلم، إلى أن جاء لاحقاً محاولة لبعض العلماء الشرعيين الذين اهتموا بالعلوم الشرعية من أمثال الغزالي رحمه الله في إدخال علم المنطق إلى علم أصول الفقه، وقد استخدم الغزالي أساليب القياس التي وضعها أرسطو، ومناهج الاستدلال التي اعتمدها في استنباط الأحكام الشرعية، حاول الغزالي أن يدخل المنطق إلى علم الأصول، وقد تجلت جهوده في هذا الصدد في كتابه المستصفى من علم الأصول، حيث بدأه بمقدمة منطقية على خلاف عادة الأصوليين قبله، فلم يعرف عن أصولي أنه قد أدخل مقدمة منطقية كاملة تشمل أكثر الأمور المتعلقة بالمنطق في كتابٍ أصولي كان ذلك على يد الغزالي كأول من اشتهر بهذا الأمر، وقد سبق صنيعه هذا أن ألف كتابين في المنطق هما "معيار العلم" و"محك النظر" حاول فيهما توظيف منهجية المنطق الأرسطي في بناء مقدمات للوصول إلى أحكام شرعية، إذاً الغزالي كان له السبق في إضافة علم المنطق في كتب أصول الفقه، وإن كانت هناك مؤلفات أصولية سبقته في ذلك من بعض الأصوليين تناولت فن المنطق أو بعض قواعده ومناهجه، لكنها لم تكن على نسق ما جاء به الغزالي من وضع مقدمة منطقية كاملة في صدر كتابٍ أصولي.

ومن أولئك ابن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٨ والذي عُرف بثنائه على علم المنطق وإشادته به ومدافعته عنه، وقد ألف فيه كتابه المعروف (التقريب في حدود المنطق) وعقد في كتابه الأصولي "الإحكام في أصول الأحكام" باباً سماه (الألفاظ الدائرة بين أهل النظر)، وكذلك فعل أبو المعالي الجويني المتوفى ٤٧٨ فقد حاول أن يدخل الأقيسة المنطقية الأرسطية ويوظفها في علم الأصول ويستخدمها في استنباط الأحكام الشرعية، غير أن التبني الواضح لإدخال علم المنطق في الأصول كان على يد الغزالي، والذي وصل إلى حد اعتباره معيار لصحة العلوم حيث يقول في كتابه معيار العلوم (فكل نظر لا يتزن بهذا المعيار ولا يعاير بهذا المعيار فاعلم أنه فاسد العبارة، غير مأمون الفوائد والإغواء) هكذا قال الغزالي في كتابه معيار العلوم.

وهكذا سار على نهج الغزالي جمع من علماء الأصول، فقدموا لكتبهم الأصولية بمقدمات منطقية، وأدخلوا المصطلحات والأقيسة المنطقية في علم الأصول، ومنهم ابن قدامة المقدسي فقد صدّر كتابه "روضة الناظر وجُنَة المناظر" صدره بمقدمة أصولية على نهج الغزالي تماما، وكذلك ابن الحاجب المالكي وغيرهم، وكان لهذا الصنيع آثاراً إيجابية وأخرى سلبية يحسن التنويه عليها في هذا المقام بشيء من الاختصار، أصبح الآن علم المنطق علم موجود في كتب الأصول، بل أصبح في بعض كتب الأصول كمقدمة لهذه الكتب.

بعض الآثار الإيجابية في إدخال علم المنطق في أصول الفقه:

١- التميز بين المصطلحات والذي يحصل به التفريق الواضح في دلالات الألفاظ، فالمناطقة معروفون

بأن عندهم جهد كبير في تمييز المصطلحات والتفريق بينها وشرحها وإيضاحها، فكان في إدخال علم المنطق إلى علم الأصول نوع من الفائدة الإيجابية وهي الاهتمام بالمصطلحات والتفريق بينها والتميز بينها بدقة.

٢- إثراء الجدل والمناقشة ودحض شبه وحجج المخالفين ومناقشه الآراء والدلائل الباطلة، من المعلوم أن علم المنطق فيه إثراء للجدل والمناقشة، فيه مناقشه قوية للآراء والأدلة، فاستخدم الأصوليون هذا العلم لمناقشة الآراء المخالفة للآراء التي يتبنونها فكان في إدخاله في علم المنطق إثراء للمناقشات الأصولية والجدل الأصولي.

الآثار السلبية لإدخال علم المنطق في أصول الفقه ويمكن تلخيصها:

١- المبالغة في صناعة الحدود والتعريفات للوصول إلى حد سالم من النقض، مما أضاع الأوقات واستنفذ الجهود من غير كبير طائل، فتجد في بعض كتب الأصول ذكر ثلاث أو أربع أو خمس تعريفات وشرح التعريفات شرحاً منطقياً ثم نقض كل تعريف على حده والخروج بتعريف جديد يمكن أن ينقضه عالم بعد ذلك وهكذا دواليك ، هذا الأمر في الحقيقة كون العالم يعرف المصطلحات شيء جيد، لكن كونه يضيع صفحات كثيرة قبل أن يصل إلى اللب قد يستنفذ الجهد والطاقة له ولطالب العلم الذي يقرأ كتابه قبل أن يصل إلى الغرض الرئيسي وهو بيان حكم المسألة الأصولية، فهو يبدأ ويفني وقتا كبيراً في المقدمات قبل أن يصل إلى المسائل الأصولية وبيان الحكم فيها، إذاً كان في إدخال علم المنطق في أصول الفقه أصبح فيه نوع اهتمام زائد بصياغة الحدود والتقييد بشروط وضع الحدود والتعريفات والتزمت في صناعة الحدود مما أدى إلى الخروج عن الحاجة إلى ذكر مثل هذه الحدود، فالحاجة هي إيضاح المحدود، الغاية من وضع التعريف والحد هو إيضاح المحدود والمعرف وتميزه عن غيره، فإذا خرج عن هذا الأمر إلى التزمت في صناعة الحد وكونه سالم من أي نقض، وحشد المناقشات الكثيرة بسبب ذلك يُخرج الإنسان عن مراده ويضيع عليه وقت طويل.

٢-إشغال علماء المسلمين وطلاب العلم الشرعي بالوسائل عن الغايات، فانشغلوا بتحليل الألفاظ والتراكيب عن النظر في المعاني والمرامي، انشغلوا بأنواع الأقسية المنطقية وغيرها عن النصوص الشرعية، المنطق هو وسيلة وليس غاية، فإذا اشتغلت بالوسيلة عن الغاية تكون قد أهلكت طاقة وأهدرت وقتا والقضية ما هي إلا أن تعطي الأمر حجمه وميزانه الطبيعي فتجعل الوسيلة وسيلة ولا نخرجها إلى أن تصبح غاية وهدفا، فكان من ضمن الإشكالات والآثار السلبية لإدخال علم المنطق في أصول الفقه أنه أصبح الاهتمام به كبيرا، فاق في بعض الأحيان الاهتمام بالمسائل الأصولية نفسها، فكان هناك انشغال بالوسائل عن الغايات.

٣- أنه أصبح من العلوم الصعبة التي لا يحيط بها إلا من استنفد جهده وبذل وسعه وأسعفته القريحة،

وحقيقة علم أصول الفقه ليس بهذه الصعوبة بهذا القدر، وليس صعباً صعوبة بنفس الواقع الموجود في كثير من الكتب الأصولية، بل هو يمكن أن يقال أنه من العلوم التي يمكن أن يقال أنها سهلة وليست صعبة، لكن إدخال علم المنطق في أصول الفقه جعل هذا العلم صعبا، فجعل الذي يريد أن يحيط به لابد أن يحيط بعلم المنطق وعلم المنطق معروف أنه من العلوم التي فيها نوع من الصعوبة، فكان في إدخاله في علم الأصول نوع صعوبة على من يطلب هذا العلم، هذه بعض الآثار السلبية في إدخال علم المنطق في علم الأصول.

لماذا ندرس علم المنطق؟

١- من باب الإذعان للواقع التأليفي لكثير من الكتب الأصولية والعقدية، فكثير من كتب الأصول والعقيدة لا يفهم إلا بمعرفة المصطلحات والأقيسة المنطقية، فنحن أمام واقع تأليفي، كثير من الكتب فيها مصطلحات منطقية، فيها أدلة تبنى على أقيسة منطقية، أنت يا طالب العلم عندما تريد أن تقرأ كتاب من الكتب لابد أن تحيط علما بهذه المصطلحات وبهذه الأقيسة المنطقية، مثلا كتاب (درء تعارض العقل والنقل) لشيخ الإسلام ابن تيمية هذا يوجد فيه كثير من المصطلحات المنطقية، يوجد فيه أدلة منطقية، فيه مناقشات شيخ الإسلام ابن تيمية مع الفلاسفة والمناطقة وأصحاب القانون الكلي، فكان لأجل أن تفهم هذا العلم أو الكتاب لابد أن تعرف ما المقصود بهذه المصطلحات. فمثلا الشيخ في إحدى المواطن في كتاب (درء تعارض العقل والنقل) في رده على بعض المخالفين يقول (وفرق بين السور الكلي وبين الكلي المسور)، أنت عندما تريد أن تفهم هذه العبارة لابد أن تعرف ما معنى الكلي المسور والسور الكلي، هذه ألفاظ منطقية تحتاج إلى معرفة معناها ولا يمكن معرفة معناها حتى تفهم علم المنطق وتعرف مصطلحاته ثم بعد ذلك تقرأ مثل هذه الكتب التي فيها بعض المصطلحات والأقيسة المنطقية، كثير من كتب الأصول الفقهية فيها مثل هذا، فنحن أمام واقع تأليفي، وطالب العلم يحتاج إلى قراءة بعض كتب الأصول وبعضها كتب مهمة، ويحتاج إلى قراءة بعض كتب العقيدة فيها مناقشات وفيها فوائد وإثراء يحتاج إلى قراءتها، وفيها مصطلحات منطقية وأدلة مبنية على أقيسة منطقية، يحتاج بذلك إلى معرفة علم المنطق حتى يتسنى له أن يقف على معاني مثل هذه المصطلحات وهذه الأدلة.

٢- للرد على المخالفين من الفلاسفة والمناطقة والمتكلمين لدحض حججهم بأجناسها، وهذا بلا شك أقطع لهم في خصومتهم وفي خلافهم، فعندما أرد على المخالف بنفس منهجه وأدحض حجته بحجته هو، وبعلمه هو، وبمقدماته المنطقية التي يأتي بها؛ لاشك أنها أقطع له، لذلك شيخ الإسلام كان عنده مقدمات رد بها على المناطقة، مقدمات صحيحة رد بها على المناطقة وأفحمهم، وأيضا عنده جانب هدم للمقدمات المنطقية الفاسدة، فكان عنده بناء من جانب، وهدم من جانب آخر، بناء مقدمات منطقية صحيحة استعملها في الرد على المخالفين بجنس أدلتهم، ومقدمات فاسدة سعى إلى إبطالها

وبيان فسادها.

مبحث العلم وأقسامه وهو أول ما يمكن أن نقف عليه في علم المنطق وهو المبحث الأول.

مصطلح **العلم** يطلق على عدة أشياء من حيث اللغة، والمراد به هنا **مطلق الإدارك**، سواء كان للتصورات أو التصديقات، **والإدراك** كما سبق معناه: **وصول النفس إلى المعنى بتمامه**، فإذا وصلت النفس إلى المعنى بتمامه فمعنى ذلك أنها مدركة له، لو **وصلت إلى المعنى لا بتمامه** هذا **يسمى شعور** ولا يسمى إدراك.

معنى الإدراك وصول النفس إلى المعنى بتمامه، وهذا الإدراك ينقسم من حيث القوة والضعف إلى أقسام :

تسمى "**سلم المدركات**"، وهي:

١- الإدراك الجازم المطابق للواقع، وهذا يسمى يقينا أو علما.

٢- الإدراك الجازم غير المطابق للواقع، وهذا يسمى اعتقاد، وبعضهم يسميه جهلا ويقصد الجهل المركب.

٣- الإدراك الراجح ويسمى ظناً.

٤- الإدراك المرجوح ويسمى وهماً.

٥- الإدراك المتساوي الطرفين ويسمى شكاً.